



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

مظاهر "التشيؤ" في شعر أحمد عبد المعطي حجازي

- بين الاستسلام والممانعة-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

صلاح ياسين

إعداد الطلبة:

✓ عبد القادر محمودي

✓ عبد النور مسغوني

✓ المكّي قديرّي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ علي كرباع	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيساً
د/صلاح ياسين	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفاً
د/ ميداني بن عمر	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مناقشاً

الموسم الجامعي: 1444/1445هـ-2023م/2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة طه -

وقال رب زدني علما

الآية 114

صلى الله عليه وسلم
العظيم

شكر و عرفان

نتقدم بفائق الاحترام والتقدير إلى الأستاذ المحترم "صلاح ياسين" الذي أشرف على مذكرتنا ولم يبخل بهذا في توجيهنا وإرشادنا طيلة إنجازنا لهذا البحث.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا ومد لنا يد العون.
كما نتقدم بجزيل الشكر لكل القائمين على جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي عموما ومعهد أداب واللغات خصوصا .

فبكل الحب والوفاء وبأرق كلمات الشكر والثناء ومن قلب ملؤه
الإخاء نتقدم للجميع بالشكر والعرفان

مقدمة

حين تحتار الذات أمام سيطرة العلم والتكنولوجيا وعندما نغيب في زحمة الضياع ونصبح بضاعة خاضعة للتبادل وقيم السوق في عالم فقد أدنى ما يملكه من إنسانية ، تقرر الذات أن تفرّ من عالم المادة وسيطرة رجال المال وتعلن رفضها وتبحث عن طريقة مغايرة للحياة وتؤسس بطريقة أخرى للحياة.

ومع تصاعد إيقاعات أزمة العصر الحديث وشراسة رأس المال والنمط الرأسمالي التي داهمت المصير الإنساني تصاعدت مجموعة من المفاهيم الفكرية التي تمس الذات الإنسانية منها مفهوم " التشيؤ " الذي عمل على استيلاّب الإنسان و هويته .

ولأن الرأسمالية صنيعة وشجع الإنسان فلقد سلبت منه عديد القيم دون أن يعي هذا الإنسان قيمة ما يفقده فأصبح أداة مشيئة مثله مثل أي قطعة تدار وتحرك هنا وهناك .

وإذا كان الناس قد ألقوا التشيؤ وانخرطوا في مشروع الرأسمالية المتوحشة فإن الشعراء قد ذاقوا ضرعا باستيلاّب المشاعر و فقدان الإنسانية فهبوا يدافعون عن ما تبقى من قيم روحية تعيد الأمل لعالم فقد توازنه واختلت مفاهيمه ومن أبرز الشعراء الذين سخرُوا أقلامهم لاستعادة الإنسانية أحمد عبد المعطي حجازي الذي عمل في جميع دواوينه على مداعبة الروح ودغدغة المشاعر التي عملت العولمة على اغوائها وخوائها من هذه الشائبة (الروح / الجسد) .

ومن هنا كان الإشكال المطروح هو :

- هل يمكن لطبقة البروليتاريا أن تكون حلا لأزمة التشيؤ ؟ أو بعبارة أخرى إلى أي مدى يمكن لطبقة البروليتاريا أن تمثل تجاوزا لهاته الأزمة ؟ وتحت هذا التساؤل نطرح مجموعة من المشكلات الجزئية التي لها علاقة بظاهرة التشيؤ .

-كيف هيمنت ظاهرة التشيؤ على الفكر الإنساني وغيبت قواه الروحية ؟

-كيف كان موقف الفلاسفة والأدباء من ظاهرة التشيؤ ؟

كيف أثرت ظاهرة التشيؤ على البعد الإنساني وعلى مختلف مجالاته منها الأدب ؟

-ما هي أهم مظاهر التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ؟

وقد كان عنوان بحثنا الموسوم "بمظاهر التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي بين الممانعة والاستسلام" يعالج أخطر الأزمات الاجتماعية المعاصرة وهو ما يعرف بالتشيؤ الإنساني الذي سلبه قيمه الروحية وذاتيته الإنسانية ليصبح شيئا ثابتا غير قابل للتغيير خال من جوهره مما دفع الشعراء إلى التصدي لهذه القوانين والقيود التي جردت الإنسان مما تبقى من قيمه الروحية .

وتعود أهمية اختيارنا لهذا الموضوع إلى الأسباب الذاتية والموضوعية فما هو ذاتي يعود إلى اهتمامنا بالفكر الحدائث المعاصر للتشيؤ وتجلياته وحب استكشاف الأفكار لأهم القضايا المعاصرة واهتمامنا بالمواضيع التي تخص الإنسان والتشيؤ خاصة لكونه قضية تشخص الحاضر في ظل العلم والتقنية، أما الأسباب الموضوعية فتعود إلى أهمية تأثير ظاهرة التشيؤ في الدراسات المعاصرة وغياب العنصر الإنساني.

وقد تم الاعتماد على خطة بحث تتطرق من مقدمة ثم تعريف بالشاعر أحمد عيد المعطي حجازي ثم فصل أول : التشيؤ مفهومه وجهازه الاصطلاحي بالإضافة إلى حوصلة حول مفهوم التشيؤ في الفكر الغربي و الإسلامي.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه بعض تمظهرات التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي كنماذج من دواوينه وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج تتعلق بظاهرة التشيؤ وتجلياته في شعر أحمد عبد المعطي حجازي .
وقد اتبعنا في دراسة هذا البحث استراتيجية التفكير في بنية التشيؤ، من خلال عرض موقفين متضادين حول ظاهرة التشيؤ.

وقد استندنا في مسيرتنا البحثية على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:
التاريخ والوعي الطبقي لـ جورج لوكاش George lochts ، والفلسفة المادية وتفكيك الإنسان لعبد الوهاب المسيري ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل.

وهذا البحث كغيره من البحوث الأخرى لا يخلو من الصعوبات التي تعارض دراسة الموضوع على أكمل وجه ويعود ذلك إلى : قلة المصادر والمراجع باللغة العربية ووجود بعض الغموض في الكتب والأفكار لكون هذا الموضوع راهن وجديد يواكب عصرنا .
وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا وتحصيل ما هو مطلوب منا في الوصول إلى المبتغى مع تقديم جزيل الشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور صلاح ياسين الذي تحمل معنا عبء البحث. ولا ننسى كل من ساندنا ماديا ومعنويا .

توطئة

منذ وجد الإنسان وهو يبحث عن تحقيق إنسانيته وموقعه الوجودي على هذه الأرض وعلى الرغم من كل ما حققه الإنسان من القفزات المعرفية والتقدم العلمي والتكنولوجي والذكاء الصناعي وثورة الاقتصاد والثورات الحديثة التي تمثلت لاحقاً في العولمة فجعلت من العالم قرية صغيرة، إلا أن سعادة الإنسان في الغرب والشرق في تناقض واضح حتى لم يعد الإنسان منسجماً مع نفسه بل انفصل فيه الإنسان عن الإنسان في انفصاله عن مجتمعه. لقد بدأ إنسان هذا العصر يشعر بتقلبات مزاجية وافتقار إلى العاطفة وشعور بالسأم والوحدة، ومعاناة القلق والاكتئاب وقد أسهمت ثورات الاقتصاد وثورات الاتصال في تغريب الناس عن ثقافتهم الإنسانية وأحدثنا ظاهرة تغريبية لا تخطئها العين إنها ظاهرة التشيؤ. ولعل ما أنتجه القرن العشرين من حادثة ورأسمالية همشت الإنسان بل أماتته وأحييت الأشياء، أي ما ينتجه الإنسان من سلع ليتشياً الإنسان أمام منتوجاته السلعية لهذا ليس عجيباً أن يقارب الشعراء الإنسان المستلب فيرونيه يتسم بالتمزق والاستسلام حتى وهو يحقق بعض المتعة الفردية الآنية على حساب السعادة الجمعية طويلة الأمد.

الفصل الأول

التشيو؛ جينيالوجيا المصطلح وأبعاد المفهوم

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

-نشأة التشيو

-مستويات التشيو عند أكسل هونيث

أ/ المستوى الفني والأدبي

ب/ المستوى البيولوجي

ج/ المستوى الأخلاقي

د/ المستوى الإدراكي

- حوصلة لمفهوم التشيو

*تعريف الشاعر عبد المعطي حجازي: أحمد عبد المعطي حجازي شاعر وناقد مصري ، وهو رائد الشعر الحديث في مصر إلى جانب صلاح عبد الصبور، ولد في قرية تلا بمحافظة المنوفية سنة 1935 م، حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره ، تدرج في مراحل التعليم حتى حصل على دبلوم دار المعلمين عام 1955م . ثم حصل على ليسانس علم الاجتماع من جامعة السوربون الجديدة 1978م وأخذ شهادات الدراسات المعمقة في الأدب العربي.

يعد أحمد عبد المعطي حجازي في طليعة شعراء المدرسة الحداثية في الشعر العربي وله تجربة شعرية طويلة واكبت مختلف التحولات التي عرفتها القصيدة العربية الحديثة وأسهم في عديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية . سافر إلى فرنسا حيث عمل أستاذا للشعر العربي بالجامعات الفرنسية ثم عاد إلى القاهرة ليعمل محررا في جريدة الأهرام ويرأس تحرير مجلة إبداع التي تصدر عن الهيئة المعرفية للكتاب¹. ومن المسؤوليات التي تولاها حجازي كذلك عضوية المجلس الأعلى للثقافة بمصر ورئاسة لجنة الشعر التابعة للمجلس ورئاسة مجلس أمناء بيت الشعر ، وقد استقال حجازي من هذه المسؤوليات كلها احتجاجا على عزله عن رئاسة تحرير مجلة إبداع².

مؤلفاته:

لقد تنوعت تجربة حجازي بين الأدب والكتابة والصحافة ، لكنه في كل ذلك اصطبغت بالسياسة والإيديولوجيا في مداركه ومعاركه فقد بدأ قرص الشعر في سن مبكرة وأصدر أول ديوان له عام 1959 بعنوان "مدينة بلا قلب" ثم توالى دواوينه فصدر "أوراس" عام 1959 "ولم يبق إلا الاعتراف" 1965 و"مرثية العمر الجميل" عام 1972 .

و"أشجار الإسمنت" عام 1989م ، و"طلل الوقت" عام 2011م. وأيضا من مؤلفاته: "محمد وهؤلاء" ، "الشعر رفيقي" ، "مدن الآخرين" ، "عروبة مصر" ، وأحفاد شوقي ، وكائنات مملكة الليل ، دار العودة ، 1983 م وفي معظم آثاره نلاحظ روح المفارقة قد هيمنت عليه.

تحصل أحمد عبد المعطي حجازي على عدة جوائز منها : جائزة كفافيس اليونانية المصرية عام 1989 م وجائزة الشعر الإفريقي سنة 1996 م ثم جائزة الدولة التقديرية في الآداب كما فاز بجائزة النيل 2013 م .

اريزي شوشة، حصاد الشعر: أحمد عبد المعطي حجازي، مصر، لانا، 2012، ص1-2
²رقية رستم، مظاهر المفارقة في قصيدة لمن نغني، مجلة إضاءات نقدية، السنة6، العدد21، 2016 .

الفصل الأول : التشبيؤ مفهومه ومصطلحاته:

(أ) لغة : ورد في لسان العرب " والشيء " : معلوم . قال سيبويه (...): الأقوى أن الشيء مذكر وهو يقع على كل ما أخبر عنه ., والجمع أشياء والمشياً : المختلف الخلق المخبلة القبيح (...). وقد شياً الله خلقه أي قبحه .وقالت امرأة من العرب:

إني لأهوى الأطولين الغلبا * وأبغض المشيين الزغبا

وَشِيَأْتُ الرَّجُلَ عَلَى الْأَمْرِ حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ¹ الْمَشِيئَةُ : الْإِرَادَةُ . شِئْتُ الشَّيْءَ أَشَاؤُهُ شَيْئًا وَمَشِيئَةً وَمَشَاءَةً وَمَشَائَةً : أَرَدْتُهُ (. . .) وَقَالُوا : كُلُّ شَيْءٍ بِشِيئِهِ اللَّهُ ، بِكَسْرِ الشَّيْنِ² .

ويتضح أن المعنى اللغوي الذي استعمله العرب يفيد معنيين , هما التقبيح ، وحمل الرجل على الأمر ، وأما التشبيؤ، فلم نجد هذه الصيغة فيما انتهى إليه بحثنا في المعاجم اللغوية. ولو قابلنا بين معنى مصطلح التشبيؤ في زماننا ، وهذين المعنيين المذكورين ، لوجدنا أن للمعنيين : التقبيح ، وحمل الرجل على الأمر.

وأما الاشتقاق الصرفي لكلمة التشبيؤ ، فهي مصدر، وتفيد صيغة(تفعل) عدة معان، ومنها:

الاتخاذ،المطاوعة و التدرج،والصيرورة،وللسياق دور واضح في توجيه المعنى . ويعرف أيضا : الشيء (مفردة) ج. (أشياء) (لغير المصدر) مصدر شاء اسم لأي موجود ثابت متحقق يصح أن يتصور،ويخبر عنه سواء أكان حسيا أم معنويا لا يطلق على المذكر والمؤنث (تأخرت عنه شيء قليلا، ينتابني شيء من الخوف)³.

ب/ التشبيؤ اصطلاحا :

التشبيؤ **Reification** ويقصد به (تحول صفات الإنسانية إلى أشياء جامدة واتخاذها لوجود مستقل ، واكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية ، وهو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه ،

¹ ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1311م) لسان العرب ط1 ، دار إصدار بيروت،ص106 .

² المصدر نفسه ، ص 103.

³ احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط1، مج 1 ، (القاهرة : عالم الكتب 2008) ، ص 1252.

في ظل تحول الإنسان إلى شيء أو سلعة تباع و تشتري ، وهي قمة الاغتراب ، وفقدان الذات)¹.

وهو مصطلح غني في دلالاته ، تتنازعه عدة حقوق معرفية ، فهو يضرب بجذوره في المقدمات الأولى للفكر البشري مثلما يضرب بجذوره في شتى المعارف : في علم النفس و علم الاجتماع ، والاقتصاد ، والفلسفة والدين.

ويقصره آخرون على تحول العلاقات ، فيقول : (تحول العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء. علاقات آلية غير شخصية، ومعاملة الناس باعتبارهم أشياء مجردة) أو: (التشويؤ أن يتحول الإنسان إلى شيء تتمركز أحلامه حول الأشياء ، فلا يتجاوز السطح المادي وعالم الأشياء)².

كما عبر عنه بعدة مصطلحات ، مثل التشويؤ ، والتذري ، والانفصال عن المحيط ... الخ³. وقد أسهم **غيورغ لوكاتش "Georges Lucacs" (1885-1971)** المجرى الأصل، والمعروف بأنه ممثل الماركسية الغربية، برصد مفهوم التشويؤ، وعرفه بأنه تحول الصفات الإنسانية إلى أشياء جامدة واتخاذها لوجود مستقل واكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية وهو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه ، في ظل تحول الإنسان إلى شيء أو سلعة تباع وتشتري، وهي قمة الاغتراب وفقدان الذات .

والتشويؤ ، مفهوم ورد بعدة مصطلحات عند **لوكاتش** منها :

الاستيلا ب و الاغتراب و التشويؤ . ويرد أحيانا المصطلحان الاغتراب و التشويؤ متصاحبين معا⁴.

ونعتقد أن المصطلحين: (الاستيلا ب و الاغتراب) أميل إلى علم النفس ، والتشويؤ أميل إلى الرؤية الفلسفية ، مع إقرارنا بأن المفهوم تتنازعه عدة حقول معرفية كعلم الاجتماع ، و علم الاقتصاد ، و علم النفس ، والفلسفة ، وكلها من العلوم الإنسانية التي أسهمت في رقد مصطلحات النقد الحديث.

ويعرف أيضا : " قيمة الشيء تساوي ما يجلبه هذا الشيء " ⁵.

وبتعريف آخر هو : " تحول الفرد إلى موضوع وفقد إحساسه بهويته ومن ثم يشعر بأنه مقتلع حيث لا جذور تربطه بنفسه ⁶ و التشويؤ يقابل مصطلح الفيتشية السلعية بأن كل شي يباع ويشترى.

ويعرف التشويؤ أيضا على أنه : " تحويل العلاقات بين الناس إلى علاقات بين أشياء كنتيجة لتعميم الشكل السلعي.

¹ماركس كارل ، رأس المال ، ترجمة فالح عبد الجبار وآخرين ، مجلد (1) ، ج 2 ، دار التقدم موسكو، ص 108.

²المسيري ، عبد الوهاب ، والتريكي ، فتحي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الفكر ، دمشق ، 2003، ص 342 .

³ينظر ، الحيدري ، إبراهيم ، " مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة ، على الشبكة ، www, 08 july

Maaber ,crylissue

⁴ينظر لوكاش ، غيورغ ، التاريخ والوعي الطبقي ، ترجمة حنا الشاعر ، دار الأندلس ، بيروت ، 1979، ص 77 ، ماركس ، رأس المال ، م 1، ج 2 ، ص 108.

⁵كارل ماركس: رأس المال ، تر، فالح عبد الجبار ، ط1، بيروت ، دار الفارابي ، 2013 .

⁶عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر 2003.

نشأة التشيو في الفكر الغربي و الإسلامي:

يعد الفيلسوف المجري غيورغ لوكاش "Georges Lucacs" (1885-1971) أول من بحث في موضوع التشيو في الفكر الغربي الماركسي المعاصر . وقد أفرد لهذا الموضوع فصل كاملا (حوالي 80 صفحة) في كتابه الهام " التاريخ والوعي الطبقي " ، الذي صدر عام 1923م وقد حدد هذا الكتاب - كما يعتقد أغلب الباحثين المتخصصين في فلسفة لوكاش- مساره الفكري برمته وانعكس بشكل كبير على أعماله الفلسفية التي امتدت حوالي نصف قرن من الزمن .

و حين نحاول فهم التشيو ، فإن علينا الحفر الجينيالوجي على أصول التشيو ومنابعه، بالعودة إلى بعض خلفياته المعرفية أو مركباته المعرفية التي منحته الوجود ، أو البنى التحتية لمسطحه المفهومي ، التي نشأ وتشكل فيها وهي كثيرة المنابع ، ومنها: علم النفس ، والفلسفة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والديانات السماوية ، آية ذلك أن المصطلح مر بكل هذه المحطات المعرفية واكتسب مع كل محطة معرفية ما يزيد على رصيده ، فكان جزءا من تصوراتها المعرفية ، قبل أن يجسده الأدب شعره ونثره. ويقتضي الحفر على جذور إشكالية التشيو العودة إلى الأس المعرفي للتشيو بين مطلقين : المطلق الميتافيزيقي ، والمطلق العلماني ، إذ ينطلق كل مطلق من أس معرفي مختلف عن الآخر . وأوجب ما يقتضي الأمر الوقوف عليه هو مفهوم المطلق ، ويقصد بالمطلق بأنه: المركز الذي يتجاوز كل الأجزاء ولا يتجاوزه شيء، وبأنه ما يؤدي وجوده إلى تماسك أجزاء النسق ، فهو مصدر الوحدة والتناسق ، وهو الركيزة النهائية للنسق أو الصورة المجازية والمبدأ الواحد والمرجعية النهائية والميتافيزيكا المسبقة.

والمطلق في المنظومات الكونية هو مركز الكون الكامن فيه وأي نسق فلسفي لا بد أن يكون له مركز يشكل مطلقه .

وتعد الأنساق الفكرية العلمانية أنساق كمنوية تستند إلى ركيزة أساسية ومرجعية نهائية كامنة في المادة (الطبيعة أو الإنسان أو التاريخ) وبالتالي فهي مرجعية نهائية مادية، مركز مطلق ومن هذه المطلقات النهائية الكامنة اليد الخفية عند آدم سميث والمنفعة عند بنتام ، ووسائل الإنتاج عند ماركس ، والجنس عند فرويد وإدارة القوة عند نيتشه وقانون البقاء عند داروين. والسلعة من المطلقات العلمية ، ثم أضيفت إلى هذه المطلقات مؤسسات اللذة لتصير دورة الإنسان ثلاثية : الإنتاج في المصنع ، والاستهلاك في السوق واللذة في الملهى¹.

وربما التقى التصور الإسلامي مع بعض من رفضوا الفهم الخاطئ للميتافيزيقا التي اتخذت من الطبيعة معياراً لها لأنها تناقض التصور التنزيهي لله تعالى القائم على عدم توافر إمكانية إدراك أو تصور العقل الإنساني المحدود بالزمان والمكان للوجود الغيبي المطلق عن قيود الزمان والمكان.

والإيمان بالغيب لا يناقض العلم أو العقل، وكذلك فإن الدلالة السابقة للميتافيزيقا لا يترتب عليها إنكار الوجود الموضوعي للوجود الشهادي أو انضباط حركته بسنن إلهية لا تتبدل.

قال تعالى : « ... فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » **فاطر 43**.

ومن هنا تأتي ضرورة الميتافيزيقا بالدلالة السابقة (الإيمان بالغيب) وأساسه الإيمان بالله تعالى².

وتلتقي جميع الأديان السماوية على أن هذا النظام نشأ نتيجة تدخل وإبداع إلهي علوي من قبل ذات فوق طبيعية، هو الله حسب التصور الإسلامي. وهذا هو المطلق الميتافيزيقي أو الغيبي المتضمن لوجود الله تعالى . قال تعالى : « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (البقرة 164).

أما المطلق العلماني أو المادي فينظر للأمور في إطار مادي إحدادي دون أي اعتبار لوجود ديني أو روحاني. وهذا المطلق المادي هو المسؤول عن تشيؤ الإنسان أمام المادة ، لأنه يغفل الجانب الروحاني المهم في الإنسان ، وهو أساس خلقه ووجوده . ويرى **المسيري** أن الفلسفة المادية تشكل البنية الفكرية التحتية أو النموذج المعرفي الكامن للعديد من الفلسفات الحديثة: الماركسية والداروينية والبرجماتية³.

وهكذا لا يكتفي بتدجين الإنسان بل يتم تشيؤه ليتكيف مع المطلقات العلمانية في رحلة تدريب وجدانه على قبول الطبيعة (المادة) ، ليوجد من ثم مبدأ المركز الكامن ويحاكيه تماما ، وهو التمرکز نحو الذات.

فإذا عرّجنا على التشبيؤ في علم النفس فإننا نقف على مصطلح الاغتراب النفسي وهو ذو صلة بالتشبيؤ ، ويشير إلى النمو المشوه في الشخصية الإنسانية التي تفقد مقومات الإحساس بالوجود والديمومة وضعف الإحساس بالهوية والانتماء.

¹ يتصرف عن المسيري ، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان ص113،115.

² ينظر : محمد خليل ، صيري مفهومي (مفهوما) الميتافيزيقا والإيمان بالغيب، موقع الدكتور صبري محمد خليل على الشبكة .

³ ينظر من أجل المطلق العلماني الشامل: المسيري ، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان.

يرى هنري برغسون "Henri Bergson" (1859-1941)، الذي يقف ضد المذهب المادي ويؤمن بفلسفة الروح، أن الاغتراب النفسي هو عدم الشعور بتحقيق الهوية، وما ينتج عن ذلك من أعراض ، فالفرد الذي لم تحدد هويته يعتبر مغترباً لأنه يفقد الإحساس بالأمن.¹ وعند عالم النفس إريك فروم "Erich Fromm" (1900 - 1985) أن الإنسان يتنازل عن نفسه عند استسلامه لقيم المجتمع السائدة وبخاصة في المجتمع الصناعي الحديث فيقول: إن الفرد يكف عن أن يصبح نفسه، إنه يعتقد تماماً نوع الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية ، ولذلك فإنه يصبح تماماً شأن الآخرين وكما يتوقعون أن يكون.² والمتشبه يشعر بأنه سجين ذاته ووحدته وقلقه ، حتى باتت الحرية تخيفه وهذا ما أشار إليه إريك فروم في كتابه " كينونة الإنسان الذي قارب فيه الفرد والمجتمع ومازق الإنسان المعاصر الذي بات يعاني من الاغتراب فيتحول إلى شيء من الأشياء التي يصنعها، بعد أن تدخل هي نفسها في تشكيله.

وبهذا تحول الإنسان إلى شيء، وأصبحت قيمته في قابليته للبيع، بعدما تحول كل شيء للبيع : جسد المرأة، والفن، والابتسامة ، والقناعة ، هكذا مات الإنسان روحياً لتعيش الأشياء، وليبدأ الإنسان مرحلة التشويؤ.³

وإذا عرجنا على التشويؤ في الفلسفة فلا بد من المرور بهيجل "Hegel"

(1770-1831) وهو من أوائل الذين قدموا تحليلاً منهجياً لمفهوم الاغتراب في كتابه

(فينومينولوجيا العقل - 1807م) مركزاً على مفهوم الحرية كتحديد لماهية الإنسان.

وكان هيجل يروم المصالحة بين الإنسان ومحيطه، وبين الإنسان والطبيعة حتى لا يزداد اغترابه، وتحدث عن انفصال الإنسان عن ثقافته، فالثقافة تعني لهيجل حياة الروح، لما لها من أهميه في تحديد موقع الفرد من ذاته فكلما فشلت الروح في التعرف إلى ذاتها في عالمها الموضوعي مالت إلى الاغتراب.⁴

وقد أدرك هيجل مبكراً أن التشويؤ جزء من معاناة الروح المطلقة حيث أقام علاقة تضاد بين الحرية والاعتراب. فالحرية تعني امتلاك الذات لذاتها والاعتراب عكس ذلك ، وقد حذر هيجل من الاغتراب وامحاء الفرد مع تطور الصناعة وتنامي دور رأس المال وهيمنته على العالم والحياة.

وقد قدمت الفلسفة في القرنين التاسع عشر والعشرين تجسيدا لتلك الروح العبتية التي يستشعرها الفيلسوف بغض النظر من كون هذه العبتية من صناعة المرء نفسه أم من صناعة آخرين وقد فرضت عليه ، وإذا يمنا شطر الاقتصاد فسنجد مفاهيم كارل ماركس "Karl Marx" (1818 - 1883) تحظى بالنصيب الأكبر من مفهمة التشويؤ فقد ربط ماركس التشويؤ بالواقع الاقتصادي الرأسمالي فيما سماه : "تأليه السلعة"، التي انفصلت من صانعها مثلما انفصلت عن الدافع الأصلي لإنتاجها أي الاستهلاك . فبدأ صانعها يشعر باستلاب

¹ ينظر سري جلال محمد ، الأمراض النفسية الاجتماعية، ط1 عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2003 ص 114.

² فروم إيريك ، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1972 ص 150 .

³ ينظر: فروم إيريك ، كينونة الإنسان، ترجمة محمد حبيب ، اللادقية، دار الحوار اللادقية 2017.

⁴ ينظر: الحيدري، إبراهيم، مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة.

إرادته، وأنه مسلوب الإرادة والمصير، يليه **غيورغ لوكاش "Georges Lucacs"** الذي وسع من امتداداته¹.

وظهر مفهوم التشبيؤ عند ماركس في تحليله لفيتشية السلطة، وعند **لوسيان جولدمان "Lusyan Juldman"** في أدبياته ، ثم تبلورت كنظرية عند **غيورغ لوكاش "Georges Lucacs"** وبعدها تبنته مدرسة فرانكفورت في إطار نقدها الاجتماعي، ورأت أن من أهم أسباب التشبيؤ والاعتراب النظام الاقتصادي الرأسمالي².

وهكذا تفهم كيف حل الإنسان السلعي محل الإنسان القيمي الإنسان المتشبيؤ محل الإنسان الروحاني، في جريه وراء كثير من الماديات والمواد الاستهلاكية : الكهربائيات والسيارات وأجهزة الحاسوب، والخلوويات، وكثير من مقتنيات الأسواق ، فجعلها من ضروريات حياته بل قد يقدمها أحيانا ، وهذا ما أحدث تغييرا نفسيا في سلوكه وقيمه، فبدأ الإنسان الروحاني يختفي خلف الإنسان السلعي؛ المتشبيؤ.

لقد شيات الرأسمالية الإنسان ؛ لأنها قدست رأس المال والإنتاج والآلة، وجعلت السيادة للتكنولوجيا على حساب الإنسان ومتطلبات روحه وعقله الفعلي الرشيد وفي هذا السياق طرح لوكاش مفهوم التشبيؤ والوعي الطبقي مؤكدا أن المجتمع الرأسمالي يحول البشر إلى "أشياء" ولا يمكنهم أن يحققوا حريتهم إلا بوعيهم وكفاحهم وبهذا الكفاح ينفذون جميع الشرائح الاجتماعية في المجتمع البرجوازي من هذا الاستيلاء والاعتراب والتشبيؤ³.

ويبدو أن كليهما لوكاش الذي أطلق على الظاهرة أسماء عديدة : "الاستيلاء" و "الاعتراب" و "التشبيؤ" وماركس الذي سماها "الاعتراب الإنساني" يشيران إلى ظاهرة واحدة بمسميات مختلفة لكنها تحمل المعنى نفسه وهي تحول الإنسان بفعل خضوعه لعلاقات الإنتاج، وانفصاله عما ينتجه إلى سلعه أو شيء، نتيجة عدم قدرته على السيطرة على ما ينتجه، ليغدوا مفعولا به بعد أن كان فاعلا.

يعتبر **أكسل هونيث (Axel Honneth)** واحدا من أهم رواد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت كما يعد اليوم ممثل الجيل الثالث لهذه المدرسة وتأسيس نظرية الاعتراف، وهذا قصد إعادة بناء النظرية النقدية وتحيينها، لتواكب التحولات التاريخية والأحداث الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عرفها العالم المعاصر. هذا وقد عمل **هونيث** من خلال مقارنة مفهوم التشبيؤ على تجاوز التغيير الأحادي الذي قدمه **لوكاش** لهذا المفهوم قصد تشخيص الأزمات أو الأمراض الاجتماعية البنوية السائدة في المجتمعات الرأسمالية حيث يرى **لوكاش** أن تعميم النموذج الإنتاجي والتجاري للاقتصاد الرأسمالي وهذا ما دفع **هونيث** إلى نقد المقاربة اللوكاشية من خلال إعادة النظر في الطابع الميكانيكي للعلاقة الموجودة بين القاعدة المادية أو الاقتصادية

(البنية التحتية) ومختلف أشكال الوعي (البنية الفوقية) والبحث عن أبعاد جديدة للتشبيؤ حيث يرى **هونيث** إعادة تحيين مفهوم التشبيؤ قصد تشخيص أمراض أو أزمات المجتمعات المعاصرة وهذا ما يظهر على المستويات التالية:

¹ ينظر: بسطاويسي ، رمضان، علم الجمال. عبد لوكاش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ص 77 - 78.

² ينظر علواني محمد ، صنمية الاستهلاك وذبول الفرد في المجتمع الحديث (بتصرف) .

³ ينظر الكنجي ، فؤاد ، الرأسمالية وفلسفة التشبيؤ ، موقع الحوار المتمدن ، العدد 4997، 2015. على

الشابكة: www..ahewar.org

أ/ **المستوى الفني والأدبي:** حيث يلاحظ أن العديد من الروايات والقصص قد حاولت معالجة كيفية نفاذ القيم الاقتصادية السائدة إلى حياتنا اليومية عن طريق نوع من العبق الجمالي **Aura esthetique** وهذا من خلال استخدام بعض الأساليب والمفردات.

وقد اقترح أصحاب هذه الأعمال الأدبية رؤية العالم الاجتماعي بالصورة التي يعامل أولئك الذين يعيشون فيه أنفسهم والغير، كموضوعات "ميتة" وخالية من كل إحساس، بحيث لا يظهرون فيه أي استعداد ليكونوا ذلك الشخص الآخر. وهذا ما نجده لدى بعض الكتاب الأمريكيين من أمثال ريمون كارفر (**Raymond Carver**) وهارولد برودكيه (**Harold Brodkey**) ومن لدى بعض الكتاب الألمان كألفيد يلينيك (**Alfred Jelinek**) وزيلكيه شويرمان (**Scheuerman Silk**) ومروراً بأحد أقطاب الأدب الفرنسي المعاصر ميشيل هولبيك¹ (**Michel Houellebecq**).

ب/ **المستوى السوسولوجي:**

الملاحظ — كما يرى هونيث — أننا نجد في مجال علم الاجتماع الثقافي وعلم النفس الاجتماعي الكثير من الدراسات التي تؤكد أن الذوات أصبحت تميل أكثر فأكثر إلى إظهار بعض المشاعر والرغبات، ولكن بصورة انتهازية إلى حد التظاهر بمعايشتها فعلياً، وكأن الأمر متعلق بعناصر حقيقية من شخصيتهم. إن هذا الشكل من التضليل الذاتي المتمسك بالطابع العاطفي قد فهمه لوكاتش جيداً عندما اعتقد بأن الصحافة هي بمثابة "تعهير" للتجارب المعيشة و " للقناعات" التي تمثل في رأيه قمة التشبيؤ الاجتماعي.²

ج/ **المستوى الأخلاقي:**

أو (الإيتيقي) لقد تضاعفت اليوم- في مجال الإيتيكا و الفلسفة الأخلاقية- تلك المحاولات التي تهدف من الناحية النظرية إلى فهم الظواهر التي سبق وأن تناولها لوكاتش في دراسته للتشبيؤ، ولذلك أصبح هذا المفهوم يستعمل اليوم بصورة واضحة، ولكن من دون الإحالة إلى النص الذي تبلور فيه في أول الأمر.

ولهذا نجد "مارتا نوسباوم" (**Martha Nussbaum**) قد أطلقت كلمة تشبيؤ على تلك الأشكال القصوى للتعامل الأدوات مع الأشخاص الآخرين. أما اليزابيث اندرسون (**Elisabeth Anderson**) وعلى الرغم أنها امتنعت عن استعمال مفهوم التشبيؤ فقط تطرقت إلى تحليل الظواهر المماثلة له كالاغتراب الاقتصادي السائد في حياتنا المعاصرة. ضمن هذا السياق الأخلاقي يمكننا القول بأن الأمر ههنا متعلق بالتشبيؤ بمعناه المعياري حتماً، بحيث يتم تعيين السلوك الإنساني الذي تنتهك فيه المبادئ الأخلاقية (الإيتيقيّة)؛ باعتبارها مجرد أشياء أو بضائع.³

د/ **المستوى الإدراكي :**

في خضم المناقشات الجارية اليوم في هذا المجال أن المقاربة الطبيعية المحضنة تعكس في حقيقة الأمر موقفاً "مشيئاً" من طرف الباحث نفسه، وفي ضوء ذلك علينا أن نتساءل: ألا يمكن القول بأن هذا التفسير المتعلق بالموثرات وللأفعال الإنسانية الخاصة بتحليل الترابط بين الخلايا العصبية في الدماغ مجرد تفسير لا يأخذ بعين الاعتبار جملة المعارف المكتسبة

¹ إكسل هونيث، كتاب التشبيؤ - تر- كمال بومنيير، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، مج2، ع4، أكتوبر 2013، ص79-90

² المصدر نفسه، ص 16 .

³ إكسل هونيث، كتاب التشبيؤ - تر- كمال بومنيير، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، مج2، ع4، أكتوبر 2013، ص 17 .

من التجربة العادية ؟ ثم ألا يمكن القول أيضا أن يتم دراسة الإنسان وكأنه جهاز آلي خال من التجربة أي كشيء إذا صح القول.

وبما أن دراسة فيزيولوجية الجهاز العصبي للإنسان لا تأخذ - بحسب الظاهر - بعين الاعتبار مميزاته أو خصائصه الشخصية فقد اعتبر ذلك شكلا من أشكال التشويء.¹

إن تحليل لوكاتش لظاهرة " التشويء " - بحسب هونيث- لم يعد اليوم كافيا للوصول إلى فهم دقيق للوقائع التي فهمها في كثير من الأحيان بصورة سليمة من الناحية الفينومولوجية. لقد تمسك لوكاتش بالمفهوم السائد " للتشويء " - وهو مفهوم ذو طابع أنطولوجي - وهذا كان استنادا إلى ماركس لذلك أكد في افتتاحية كتابه (التاريخ والوعي الطبقي) بأن " التشويء " لا يعني شيئا آخر سوى تلك العلاقة الموجودة بين الأشخاص والتي أخذت طابعا شبيها.

ونعتقد أن نقيض التشويء هو الوعي الأخلاقي، والقيم الروحية المستمدة من الأديان والثقافة الروحية للشعوب، لأن الطرح الماركسي نقل الإنسان من تشويء رأسمالي إلى تشويء بروليتاري، ولم تشكل للمجتمعات الاشتراكية أي بديل، فقد سيطر عليها العقل الأداتي متمثلا في التكنوقراطيات الحاكمة ، والأصل أن أي إنسان يتجرد من كينونته الروحية ، التي وهبها الله له يصير ذا كينونة شبيئية.

والتشويء بالمعنى الديني ، هو تحول اهتمام الإنسان بالدنيا ، بدلا من الآخرة ، وبما ترمز له الأولى من متطلبات مادية ، تشغله عن الانهماك الروحي ، متجسدا في رمزية الصراع بين الروح والجسد . فكأنه بهذا المعنى يجمع بين صنمية الحجر وصنمية البشر . ويرى المسيري أن التسلع و التشويء والتوثن تعني كلها أن يحيد الإنسان إنسانيته المتعينة ، فيسقط إما في عالم الأشياء و (السلع) المادية ، والذات الطبيعية المادية ، ويفقد إنسانيته المركبة (الربانية) ، أو يذوب في مطلقات لا إنسانية مجردة: (المطلق العلماني: الطبيعة / المادة ، والتنويعات عليه : الدولة والسوق والإنتاج والاستهلاك) ويفقد إنسانيته ، ويرى أن المصطلحات الثلاثة السابقة هي في واقع الأمر تنويع على مصطلح الاغتراب ، (ALIENATION) ، ويشار إليه (الاستيلا ب).

ومن زاوية الرؤية الدينية للاغتراب ، فإن معظم رجال الدين يرون أن الغياب عن العقائد الروحية يجعل الإنسان يعاني من الانفصال عن التجارب الزاخرة بالمعاني الروحية والأخلاقية. وقد ارتبط أول اغتراب عن الفردوس بالخطيئة الأولى في الأكل من الشجرة التي نهى الله فيها آدم وحواء عن الاقتراب منها ، ولكن آدم وحواء تصرفا بإرادتهما الحرة ، فجلبا لأنفسهما الخروج من الجنة ، فكان هناك علاقة بين الاغتراب والخطيئة ، خطيئة آدم وحواء ؛ إذ عوقبا عليهما بإخراجهما من الجنة ، وهو أول خروج من " وطن الكينونة الأول" ، ولعله كان يرسم أول ملامح الإحساس بفقدان الخلود ، وربما مثل للشعراء أو لبعضهم أمثلة رمزية للتشويء.²

ولعل هذا التحول الخطير للإنسان من كينونته الروحية ، إلى "كينونة شبيئية " هو موطن قلق الفلاسفة ورجال الدين ، فضلا عن المبدعين ، شعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين فهم

¹المصدر نفسه ، ص 18 .

²ينظر: مجاهد ، عبد المنعم مجاهد ، جدل الجمال والاعتراب ، مكتبة الأنجلو - المصرية ، القاهرة ، 1986 ص 21 ، المسيري ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية ص 285 ، 264 ، 321 ، حمادة احمد الاغتراب في الأدب العبري المعاصر ، عالم الفكر ، م 24 ، 3ع ، يناير/ مارس 1996 ص 39 .

يلتقون في إدراك خطورة التشيؤ بوصفهم يلتقون "شهوة إصلاح العالم"، حين يجدون العالم يفقد معناه وجوهره، وغاياته الروحانية، وهم معنيون بالإنسان في الدرجة الأولى. ومن هنا كان حريا بالشعراء أن يعبروا عن صراع تلك الروح الإنسانية مع كل أشكال المادة، والتعبير عن شوقها وتوقها وتطلعات الروح السامية إلى التحرر من دبق الطين اللابز.

ولعل الإشارة للشقاء الإنساني، تدفعنا للاستنتاج بأن التشيؤ يكمن في الاستغلال ويتعداه إلى الحزن الوجودي أو الشقاء الإنساني، بما يؤكد أنه متأصل في النفس البشرية منذ مغادرتها الفردوس الأعلى، وكأنه جزء من معاناة الروح المطلقة، بعد أن تأكد لأدم وحواء كرمزين للبشرية فناءهما وهو ملحظ وجودي بامتياز!

ويرى آخرون أن مفهوم الاغتراب يتماهى مع معنى التشيؤ وهي الحالة التي يصبح فيها الشخص بفضل الظروف الاقتصادية والسياسية عبدا للأشياء، ويعامل على أنه شيء، ويمكن عده حالة من عدم تفاعل الإنسان مع الأشياء التي حوله.¹ ونرى خلاف ذلك، بعض الفروق الجوهرية بين مصطلح التشيؤ و الاغتراب، على الرغم من التقائهما في بعض المظاهر النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية والحضارية.

¹See: Taha ,Ayadkazem and Aseel Abdul khaliqs " REIFICATION" and itsRepresentation in the Iraqi Theater "؛journal of university of Babylon for Humanities, Vol .26,no ,7 ,201, p 226,2018.

الفصل الثاني

مظاهر التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي

أولا : مظهر الاغتراب في المدينة

ثانيا : مظهر المفارقة في شعر حجازي

ثالثا : مظاهر الحنين عند حجازي

رابعا : مظهر رمز الليل في شعر حجازي

الفصل الثاني :

تمهيد:

القصيدة إما أن تكون أحادية الرؤية تنحصر في خطاب الذات مختزلة الكون في شخص أو ذات واحدة وإما أن تتفتح عن الكون وتتغنى بالوجود، فتمنح المتلقي فرصة أعمق لفهم العالم وإدراك المفاهيم الأوسع للحياة والوجود.

وشعر أحمد عبد المعطي حجازي من النوع الثاني، وقد وقف حجازي حائرا أمام سؤال الزمن مجسدا سؤال المحو والعدم مستشعرا معاناة الإنسان في ظل صراعات الحياة، ورحلة البحث عن الذات، حيث يقف الشاعر على المفترق الصعب بين بساطة الماضي الرومانسي وتعقيدات الحاضر وتحولاته الشائكة فإنه لا يحولها إلى أطروحات فكرية مباشرة، ولا لمقاربات ذهنية خالية من الحرارة، بل يبيت في أوصالها كثيرا من الدفء والتوهج القلبي المنبتين من المعاناة.

وقد أدى به هذا الشعور إلى إحساسه بالغربة واستلابه عن مجتمعه وعن حقوقه وعن حرته إذا أصبح شيئا لا قيمة له وهنا فقد ذاتيته وجوهره الإنساني، فهناك من الأدباء والشعراء من اختاروا المواجهة والمقاومة والتحدي ومنهم من احتار الاستسلام لذلك الواقع واكتفاء بالعزلة والاعتراب وتشبيئة وجوده .

وقد ظهرت صور التشيؤ لدى الشاعر بشكل بارز في قصائده الشعرية التي تحمل من بعض زواياها أبعادا فلسفية ورؤيوية عميقة للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي .
ويعد تيار التشيؤ أو الاعتراب أو التحييد من أبرز التيارات الحداثية أو سمات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة ،وهي سمات تفصح عن خصائص شعر حجازي نتيجة لانهماكه العميق في روح الحضارة كما هو ماثل في إطار العصر ، ومحاولته تفهم أبعاد هذا الوجه الحضاري وقيمه ومثله ، ثم نتيجة لأصالة التجربة وبكارة الرؤية الشعرية على السواء ، وهذا التيار يجسد رؤية الانتقام على وجه الحضارة الحديثة وما أحدثته من تمزق للنفس الإنسانية وللعلاقات الإنسانية التي تربط بين الناس ، ومن بين أبرز الأمثلة عن هذا التيار نجد أعمال الشاعر عبد المعطي حجازي في قصائده: " رسالة إلى مدينة مجهولة " ، "صناعة العصر" ، "كان لي قلب" ، " هواي عليك يا محمد" ، "سلة الليمون" من ديوانه الشهير "مدينة بلا قلب"

مظاهر التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي

أولا : الاعتراب في المدينة :

من أبرز الظواهر التي يمكن ملاحظتها في الشعر المعاصر من الناحية المعنوية ، غلبة بعض الموضوعات الجديدة والعصرية كموضوع "الاعتراب" الذي تمثله "المدينة" المتصفح لدواوين الشعر المعاصر يلاحظ أن كثيرا من الشعراء قد واجهوا في قصيدة أو أكثر موضوع المدينة ، ويتجسد هذا التمزق في ديوان "مدينة بلا قلب" لأحمد عبد المعطي حجازي الذي لم يكن الشاعر الوحيد الذي غادر مسرح طفولته الريفي ليصطدم بجدران الإسمنت والفولاذ في المدينة الكبيرة إذ لا بد للمرء أن يلاحظ أكثر من تسعين في المائة من الشعراء ينحدرون من الأرياف التي يسهم فضاؤها المفتوح وطبيعتها الغنية بالمرئيات في إلهاب المخيلات وإغنائها بالصور والأحاسيس والدفق التعبيري . وهم حين يفدون إلى المدن والعواصم يعيشون حالة من التمزق الداخلي أو الفصام النفسي بين عالم

الأمس الملفوح بنسيم البراءة الرومانسي ، وعالم الجديد الذي يتزاحم فيه الآلاف بالمناكب بحثا عن لقمة العيش يقول الشاعر حجازي :

أواجه ليلي القاسي بلا حب
وأحسد من لهم أحباب
وأمضي في فراغ بارد مهجور
غريب في بلاد تأكل الغرباء
طرقت نوادي الغرباء لم أعثر على صاحب
وكان الحائط العملاق يسحقني ويخنقني.¹

فلا نكاد نقرأ في هذه الأبيات من " مدينة بلا قلب" سيرة مدينة بذاتها، ولا فرد بعينه، بل نقرأ سيرة ضياع الإنسان المعاصر في زحام المدينة الكبيرة المعولمة التي يحرق فيها كل واحد بالآخر ولا يراه ، والناس يمضون سراعًا ويحدقون في اللاشيء وكأنهم أشباح أنفسهم ولذا فقد لا يحفل أي منهم بصاحب في ظل الزحام وصعوبة الحياة. ومن أبرز ما يميز المدينة الإحساس فيها بعامل الزمن، وانعكاس هذا العامل على الحياة نفسها وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض ، فالزمن عامل جوهري في حياة أولئك الذين يعيشون في المدينة، بل هو ميزان العلاقات بينهم، فكل فرد له زمنه الخاص ينظم في حدوده مشاغله الخاصة وعلاقاته بالآخرين . " الزمن هو السيف المسلط على رقاب الجميع في المدينة ، في سباقهم الذي لا ينتهي.. " ².

يقول حجازي:

رسوت في مدينة الزجاج والحجر
الصيف فيها خالد ، ما بعده فصول
بحثت فيها عن حديقة فلم أجد لها أثر
ودائما على سفر

لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك ؟ ³

فالشاعر يؤكد على أن الفجوة النفسية العميقة بين واقع الحال وتطلعاته وهواجسه ما لبثت أن أخذت شكلها التصاعدي في المدينة التي تتسم بالصيف المقيم واللهيب والغبار كما يتم يتسم أهلها بالسفر والانشغال مع أنفسهم وهم صامتون لا يكلم الواحد منهم الآخر، وإذا تكلموا دارت بينهم كلمة وحيدة وهي السؤال عن الزمن الذي يتحكم في أهل المدينة.

ثم إلى جانب هذه السمات التي صور بها الشاعر وجه المدينة نجد كذلك سمة تجربة حياة في المدينة ومدى معاناة الشاعر فيها وللحديث عنها يقتضي منا أن نتفحص هذه التجربة على المستويين الفردي والجماعي. ففي معاناة الشاعر لمظاهر الحياة في المدينة جانب ينعكس عليه في وصفه واحدا من أهلها ، وجانب يباشره الشاعر نفسه فيما يتمثل بين الآخرين.⁴

وأول مظهر من مظاهر معاناة الشاعر في المدينة يتمثل في شعوره بالوحدة فيها رغم زحمة المدينة بالناس والأشياء ويرتبط هذا الشعور بالتجربة العاطفية للشاعر. فما لم تربط بين

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 110-111 .

² عز الدين ، إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي ، ط3 ، ص، 331 .

³ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 223 .

⁴ عز الدين ، إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي، ط3، ص 334

الإنسان والآخر عاطفة حب تصبح المدينة وكأن ليس بها إنسان و تضيق رغم اتساعها .
يقول الشاعر حجازي :

طرقت نوادي الأصحاب لم أعر على صاحب

وعدت تدعني الأبواب والبواب والحاجب

يدحرجني امتداد طريق

طريق مقفر شاحب

لآخر مقفر شاحب

تقوم على يديه قصور

وكان الحائط العملاق يسحقتني

ويخنقني

وفي عيني سؤال طاف يستجدي

خيال صديق

تراب صديق

ويصرخ أنني وحدي

ويا مصباح ! مثلك ساهر وحدي

وبعت صديقتي بوداع!¹

ولعله من الواضح أن الشعور بالوحدة ليس مجرد أثر لانقطاع علاقة الشاعر العاطفية وإنما هو انعكاس كذلك لوجه الحياة في المدينة وما يتبع هذا الشعور من شعور بالضيق والغربة ، فالإنسان في المدينة وحيد يفقد اسمه في زحمة الأسماء أو يفقد وجوده في هذا الوجود الضخم
يقول حجازي:

من أنت يا ... من أنت ؟

الحارس الغبي لا يعي حكايتي

لقد طردت اليوم من غرفتي

وصرت ضائعا بدون اسم.²

فما دام الإنسان قد فقد اسمه في المدينة فقد الجميع أسماءهم وصاروا بذلك غرباء. يقول
حجازي :

...وتلتقون

مثلما يلقي الغريب الغرباء.³

ويقول حجازي في قصيدته : " الطريق إلى السيدة" ، أول ما قال حين وقعت عينه على
المدينة ووجد نفسه في زحامها:

الناس حولي ساهمون

لا يعرفون بعضهم... هذا الكئيب

لعله مثلي غريب

أليس يعرف الكلام؟

يقول لي.. حتى... سلام !¹

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 110-111 .

² المصدر نفسه ، ص 189 .

³ عز الدين ، إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط 3، دار الفكر العربي ، ص 335 .

فلا أحد يلقي السلام على الآخر إن لم يعرفه معرفة شخصية فلسنا في القرية فنحن في المدينة حيث الكل واحد مضيق و غريب. والشاعر لا يفتات على المدينة ، وإنما هو يعاين الواقع ويعايش الوقائع فيجد كل شيء مؤكدا لشعوره².

لقد أحسن الشاعر من خلال معاناته ومعايشته للآخرين أن الوشائج الإنسانية أو الاجتماعية السليمة التي تربط بين الناس مقطعة الأوصال في المدينة مما ولد في نفسيته مشاعر الوحدة والضياع والغربة بعد أن عاش تجربة الحياة في المدينة ومقارنتها بتجربة الحياة في القرية في زمن الطفولة والصبا اليافع، وقد كان طبيعياً أن تنعقد في نفسيته الشعور بالنقمة على المدينة وبشكل خفي لم يصرح به.

ثانياً : مظهر المفارقة في شعر حجازي

إن الحياة حافلة بجملة من التناقضات والتضادات ، وبما أن الأديب هو الذي يبدي كل ما يدور في المجتمع، ويحاول انعكاس صور المجتمع في الأدب ،لهذا تظهر المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع والفرد، وتشكل المفارقة مكوناً أساسياً ومهماً في الشعر العربي، وقد نمت هذه الظاهرة في الشعر المعاصر، فهي ظاهرة فنية في لغة القصيدة الحديثة، يستخدمها الشاعر المعاصر. وفي هذا المجال يمكننا الوقوف أمام عنوان قصيدة لمن نغني؟ لاستخلاص كوامن المفارقة فيها لغة ومضموناً.

فالمفارقة لغة : مصدر صريح من فارق ،ذلك ما كان على وزن فاعل من الأفعال ،مصدره الصريح يأتي على وزنين وهما مفاعلتن وفعال وجذرها الثلاثي فرق ومصدرها فرق،"والفرق في اللغة خلاف الجمع، فرقه فرقا وانفرق الشيق وتفرق وافترقا، أي باينة المفروق، وفرق له الطريق أي اتجه له طريقان"³.

أما المفارقة اصطلاحاً:قد يكون من الصعب التوصل إلى تعريف محدد لمعظم المصطلحات الأدبية والنقدية خاصة، إذا كان المصطلح المقصود تعريف شائك، كما هو الحال مع مصطلح المفارقة فيعرفه ميونيك فيقول : " المفارقة قول شيء دون قوله حقيقة "¹.

وهذا يعني أنه يتم التوصل إلى المغزى من التركيب أو النص لا من خلال الظاهر، بل من خلال ما يكمن في اللفظ من دلالة لم يشر إليها القول الصريح.

إن بنية المفارقة تقول على اجتماع عناصر ثنائية متضادة، لا يتوقع أن يجتمع في سياق واحد أو موقف، فقد نرى من المواقف والأقوال ،ما يبين تجاهل العالم ، وتعالج الجاهل،

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 117 .

² عز الدين ، إسماعيل الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية ، ط3، دار الفكر العربي ، ص 336.

وانخداع الماكر وما إلى ذلك من المظاهر التي تحمل في اجتماعها وبين طياتها، ذلك العنصر الذي يقوم على المفارقة.

لمن تغني؟!

إن العنوان ممزوج بروح المفارقة ، حيث نرى الإحساس بالتباين الشديد بين الأمل واليأس . قد أثار في نفس الشاعر شعوراً بالترديد ، وتكمن المفارقة هنا بين ما كان يأمله الشاعر وما يتمناه بل ويتوقعه ، وبينما سيحدث من قبل الفلاحين وهو مخالف تماماً مع توقعات الشاعر الذي يقول :

وضعت من تعمي كلام واضحاً كالشمس

عن حقلنا المفروش للأقدام

ومتى تقيم العرس ؟

ونودع الألام ؟²

ذلك بأن الشاعر يحاول أن يعي الفلاحين ويثورهم ضد الاستغلال. في حين هو يعرف إنه لا جدوى من هذه المحاولة ، فإنه يكشف عن حالته بين الخوف والرجاء والاستغراب بأسلوب الاستفهام والتعجب ، فهذه المفارقة التي حدثت في العنوان هي مفارقة النعمة لأن الشاعر يعبر عن أمله الممزوج باليأس من خلال أسلوب الاستفهام والتعجب وهذا أدى إلى ظهور النعمة التهامية في القصيدة ، فالعنوان يعبر عن حالة التناقض و التضاد التي سيطرت على روح الشاعر وامتدت إلى كامل النص.

والشاعر ضمن هذا المقطع حاول أن ينسبه الفلاح وأن يقنعه للثورة والمتلقي ينتظر الثورة، لكن الفلاح مازال لا يعي بالأمر والشاعر بهذا السؤال يعبر عن يأسه وعدم نجاحه وبالنعمة التي توحى باليأس وفقدان الأمل .

وتعتبر المفارقة اللفظية أكثر أشكال المفارقة تداولاً ، وقد كتب الشاعر حجازي أول بواكره الشعرية في الريف وفي ليله المظلم البهيم بين الحقول التي تعاني الظلم والاستغلال يقول الشاعر:

ولدت هنا كلماتنا

ولدت هنا في الليل يا عود الذرة¹

فالولادة هي البشارة والفرح في حين يفاجئ المخاطب بكلمة الليل وهو يوحي بالظلمة والأسى فهنا ظهرت المفارقة اللفظية ؛ ذلك بان الشاعر أتى بكلمتين معا كل واحد منهما يوحي المعنى الذي يناقض الأخرى و هذا التناقض لا يكون إلا بسبب سيطرة التناقض والتشاؤم معا على إحساس الشاعر . ومن ثمَّ الشاعر ينادي عود الذرة وقوت الفلاح ؛ ذلك لأن الشاعر فقد أمله عن الناس ، فبهذا النداء يستهزئ الفلاحين ولا يحسبهم إنسانا.

تعتبر مفارقة السلوك الحركي مؤشرا إلى «عملية التصور العقلي أو تكوين صورة عقلية واضحة لكل الأشياء، وبين التضاد في هذا النوع على أساس التعارض بين اللفظ ومسلكه

والغاية منها التقد»²

يقول الشاعر حجازي :

¹أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 124.

²محمد العبد، المفارقة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، 2006، ص55 .

يا ثدي أم لم يعد فيه لبن
يا أيها الطفل الذي ما زال عند العاشرة
لكن عينيه تجولتا كثيرا في الزمن¹.

يخاطب الشاعر النيل معبراً عنه بالأم، فانتقى لذلك أجمل وأروع الصور المعبرة عن هذا الواقع المرير، حيث إن الأمة أجمل و أروع الصور المعبرة عن هذا مظهر العطف فاخترها بدلاً عن النيل ليظهر مدى خصوبته ولكن هنا الأم لا تعطف على أبنائها ، وكفت عن العطاء، ها هنا ظهرت. صورة مفارقة من جديد ، ثم يخاطب الأطفال في سن العاشرة، الذين يتخلج في نفوسهم الأمل ويصارعون من أجل البقاء.
يقول حجازي أيضا :

يا أيها الإنسان في الريف البعيد
يا من يصم السمع عن كلماتنا ... بالعين لو صادفتها
كيلا تموت على الورق²

يخاطب الشاعر الفلاح الريفي والذي فرض عليه واقع عمله الزراعي أن يكون بعيدا لا من حيث المكان بل البعد من التعقل والوعي، فالشاعر استفاد بدلا من عدم التعقل والبعد عن الوعي، البعد المكاني ونعرف بعد المكان لا يحسب عارا بل العار هو البعد عن الوعي والشاعر يحاول من خلال هذا استهزاء الفلاح ليؤثر على روحه وقلبه.
إن مصطلح المفارقة لم يأت عفويا بل إن جذوره لها ارتباط وثيق بالمسرح حتى أنها تسمى مفارقة سوفوكليس نسبة إلى المسرحي المعروف سوفوكليس³.
و بما أن المسرح ما هو إلا اختصار لحياة الناس ومحاكاة لأعمالهم ، فلا محالة أن يكون أبطاله وجمهوره هؤلاء الناس، ولما كانت المفارقة أساسها التناقض الذي يكتشفه المراقب فإن المفارقة الدرامية تقوم على بنية العمل أكثر من اعتمادها على علاقة الكلمات بدلالاتها⁴.
ويقول حجازي:

أسقط عليها قطرتين من العرق
كيلا تموت

فالصوت إن لم يلق أذنا في صمت الأفق⁵.

إن الشاعر يبحث عن قلب واع معبرا عنه بأذن ليشير إلى يأسه ممتزجا بالأمل ،يريد القلب وهو ذروة أمله ويريد بذل الجهود كي تصل كلماته إليه.
في حين يقول أريد الأذن، لأن لا أمل يبقى له سبب كسولة الناس فالكلام الذي لا يسمع لا جدوى من النطق به.

في هذا المقطع الرجاء واليأس ممتزجان وروح المفارقة الدرامية ظاهرة فالشاعر يدعو الفلاحين إلى استجابة كلماته محذرا عن حصيلة عدم الاستجابة والتناقض ظاهر بين ما يأمل الشاعر وما يفعل الفلاح ، والشاعر يعرف عاقبة الفلاح تماما.

¹أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 119 .

²أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 119 .

³ناصر،شبانة ،المفارقة في الشعر العربي الحديث دمشق، المؤسسة العربية والنشر للدراسات، 2002، ص66.

⁴فريحة ، بيرير،المفارقة الأسلوبية في مقامات الهمذاني رسالة الماجستير جامعة قاصدي مباح .

⁵أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص120.

ثالثاً : مظاهر الحنين عند حجازي:

1-الحنين الطفولي : يتعلق هذا القسم من الحنين بحياة الشاعر الشخصية و تجربته الفردية وما يتضمنه كالرجوع إلى طفولته وقريته - فالطفولة من أجمل. مراحل العمر الإنساني، ومع مرور الزمن لا يبقى منها سوى ذكريات وتحسرات، يجدر بالذكر أن بنية الذهن الأولى ولغته ولا سيما الشعراء تتكون في مرحلتها الطفولة والمراهقة وإن هذه البنية ستؤثر بكل كبير في جماليتهم الفنية.

وقد أشار حجازي في أشعاره إلى ذكريات الطفولة والحنين وذلك بسبب ابتعاده على الوطن فهو في قصيدة " رسالة إلى مدينة مجهولة " يرسل أباه الذي يقطن في بلدة غامرة فيعرض الشاعر في هذه الرسالة ذكريات طفولته ويرسم فيها وضعه المأساوي.¹ فلذلك نهج الحنين عند الشاعر مر وحزين جدا فيرسم في شعره صورة قروي بانس مثابر يتجلى من خلاله شخصية الشاعر نفسه في عهد طفولته فيقول:

ما زلت طفلاً يا أبي

ما زلت الألام

أكبر مني

ما استطعت أنام

فستجيب يا أبي

ومثلما كنت تعود في مآسي الشتاء.²

وقد كان هذا الحنين إلى القرية منبثقا عن صورة أو موقف وقعت عليه عين الشاعر وهو في المدينة فأدى ذلك إلى استثارة وجدانه المتعلق بالقرية والشاعر في هذه الأبيات يصرح بأنه كان طفلاً ، فإذا انفصل عن القرية بهذا الشعور فقد بالتالي الحماية في المدينة . من غير شك أن الحنين إلى الطفولة أحد الموضوعات الرئيسية في شعر حجازي

¹أبو غالي مختار علي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، بيروت ، ،1995ص 33 .

² أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان،دار العودة،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 227 .

وهذا يتجلى أيضا في " قصيدة " الرحلة إلى الريف " حيث يصف بعض مظاهر الطبيعة الخلابة في قريته.

فيقول حجازي :

هي موطني القديم

نفسى التي أعتقها من سجنها الرحيل

تطوف فوق جوك النبيل

تلتمس العمر الذي انقضى هنا

تلتمس الذي نما من الشجر

و من رفاق الضحك والبكاء إخوة الطفولة ¹.

يتغنى الشاعر في الأبيات بالوطن الأم ومدى ارتباطه به وذلك بالحنين إلى أيام الصبا والتعلق بسحر وجمال طبيعته.

يورد الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان " هواي عليك يا محمد" ذكريات طفولته . مع شقيقه باتا يقضيان حياتهما بالوحدة ويصارعان مآسيها فيطلب الشاعر في هذه القصيدة من محمد أن يحيي من خلال العزف على القيتار ذكريات الطفولة المسحوقة أي موت الأب والقرية والزهراء وفي الأخير تشرده و ضياعه فيقول:

فاضرب...

بطفولتنا المظلومة

بأبيننا المحتضر الأشيب!

بالدرب الصاعد من منزلنا

اضرب بتشردنا بين الطرق المسدودة ².

2- حنين الابتعاد عن الوطن:

هذا القسم من الحنين تعنى به الأمور التي لا تختص بالحياة الشخصية للشاعر بل نجدها عند الناس عامة ، ناهيك عن أن هذا القسم يشتمل على أشياء يعرفها الناس وتتعلق بالاجتماع وهي الحنين إلى الوطن و التراث الشعبي والشخصيات التراثية والحضارة ومصدر هذا النوع التجربة الجماعية - فالحنين إلى الوطن « طبيعة في النفس البشرية ومرتبطة بكرامة الإنسان وعزته وكانت ولا تزال الغربة عن الوطن هما شديداً » ³

فالعربة والبعد عن الوطن والديار التي تمزق أوتار قلوبهم وتشعل الحرقه في فؤادهم حيث مزج الشاعر شعره بأحاسيس التحسر والشوق إلى الوطن يسمى الحنون إلى وطنه . يرى

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 445 .

²المصدر نفسه ، ص 518-519 .

³الجبوري ، يحي،الحنين والغربة في الشعر العربي ،دار المجدلأوي للنشر والتوزيع، بيروت، 2007 ،ص09 .

علماء النفس أن الشعور بالاغتراب حالة عاطفية تحفيزية معرفية معقدة تنبعث من الحزن والرغبة في الرجوع إلى الماضي.¹
فالفراغ من المدينة والإقبال على القرية أدى إلى انعكاس مشاعر الحزن والأسى في شعره فأحمد عبد المعطي مجازي. ولد في القرية وقد قضى قسطاً من عمره في الاغتراب بعيداً عن الوطن فمن الطبيعي أن تتجلى في شعره عواصف التحسر وأسى الاغتراب عن الوطن والحنين إلى نقاء الجو القروي حيث لجأ حجازي في قصيدة " سلة الليمون " من وحدته و قنوط الاغتراب إلى حضان الطبيعة الدافئ يصور الشاعر في هذه القصيدة طفلاً قروياً سافر إلى المدينة ومن ثم يرسم من خلال ذلك الطفل وسلة الليمون حنينه المتزايد إلى وطنه وقرينته فيقول :

سلة الليمون!

تحت شعاع الشمس المسنون

والولد ينادي بصوت المحزون

عشرون بقرش

بالقرش الواحد عشرون !²

ترمز القرية في شعر حجازي إلى البراءة والنقاء فالقرية وكلما يتعلق بها في نظره عنواناً للحياة الخالدة لذلك يتحدث كثيراً في شعره عن استمرارية الحياة في القرى فهو يرى أن القرية مهد الولادة والحيوية.³ على العكس تماماً الحياة توحى المدينة في شعره بمعاني القذارة والموت والموبقات و الاحتيال و القساوة و الفضاضة.⁴
فهنا يتمنى الشاعر العودة إلى نقاء القرية وجمالها وسعادة الطفولة فيقول الشاعر:

حَمَلْتُهَا فِي غَيْشِ الْإِصْبَاحِ

شوارع مختنقات ، مزدحمات

أقدام لا تتوقف ، سيارات ؟

تمشي بحريق البنزين!

مسكين!

لا أحد يشمك يا ليمون!

والشمس تجفف تلك يا ليمون !⁵

تعتبر هذه القصيدة صورة رمزية لحياة الشاعر فحجازي يرى كل خصاله في سلة الليمون التي نقلها من القرية إلى المدينة. لذا يكرر كلمة الليمون . أربع مرات في شعره ما أجمله من ليمون أخضر وطري وندي تحفظه من وهج الشمس فهو يذكرنا بطراوة القرية ونقاءها ويثير فينا مشاعر الحزن والحنين - فالشاعر هنا يتحدث عن صعوبات الحياة المدنية ويرسم براءة الطفل القروي وقساوة التحضر وجفافه فالتضامن والرحمة و التعاون معاني لا نجدها في قاموس المدنية - فهو في الحقيقة وقع بين قوتين متضادتين الأولى شدة الازدحام والثانية فقدان الصديق الحميم.

¹ آرشر و آخرون، المجلة البريطانية، 1998 .

² أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 125 .

³ حمودة حنان محمد، زمكانية وبنية الشعر المعاصر، الأردن ، 2006 ، ص 42.

⁴ الجازي ، زياد جازي ، الظواهر الأسلوبية في شعر عبد المعطي مجازي، جامعة موهته، 2011 .

⁵ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 126 .

فيقول الشاعر:

هنا المدى لا يعرف الحراس

هنا أنا حر

هنا الطيور تستطيع أن تطير

هنا النبات لا يزال أخضر الرداء...

هنا الحقيقة التي لا تعرف التلون المقيت

هنا الدوام والثبوت¹.

3- الحنين إلى المستقبل الثاني:

من أبرز مبادئ المذهب الرومنسي الحنين إلى المجتمع المثالي أي ما يسمى بالمدينة الفاضلة وهو ما يطلق عليه بالحنين الجماعي . لذا نرى الكثير من الشعراء ينشدون ويصفون المدينة الفاضلة في أشعارهم هذه المدينة التي تمتاز بالعلاقات المثالية فأحمد عبد المعطي حجازي شاعر رومنسي له ردود سلبية تجاه المدن والتي تجعله يربي في ذهنه المدينة الفاضلة² فيتحدث الشاعر في قصيدته " خمس أغنيات للشيء المنسي" عن أفكاره المثالية التي تدور حول قضية انتقاد المنقذ وعبثية المستقبل فالشاعر يحلم وشعبه بالمدينة التي يسودها الهدوء والصفاء والنقاء.

حيث يقول الشاعر:

نبحث عن مدينة تمتحنا الأمان

تمنحنا الرغيف والخمرة والوجه الجديد

تمنح وقتها السعيد

لابنتنا التي ذوي جمالها

وناء بالصبغة وجهها المهان !³

فالشاعر في أبياته يعبر عن رغبة الإنسان في إيجاد مكان يمكنه العيش فيه بسلام وسعادة بعيدا عن الآلام والمشاكل التي قد تكون واجهها في أماكن أخرى فالمدينة المثالية في نظره تشبه الحلم الذي يسعى إليه الجميع ومكان للأطفال يكون بعيدا عن الظلم والتحديات ويتمتعون بحياة مليئة بالفرح والجمال.

رابعا : مظهر رمز الليل في شعر حجازي

يعتبر الليل من عناصر الطبيعة الصامتة التي يخلو فيها الإنسان للعبادة أو التوحد مع الذات ، الليل جعله الله سكنا وراحة للإنسان بعد أن تعب في النهار، ولقد أخذ الليل في مساحة شاسعة في ديوان الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ولقد واجه الشاعر العربي

¹المصدر نفسه ، ص 442-443 .

²أبو غالي، مختار علي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، بيروت، 1995، ص 9 .

³أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 562.

الليل قديماً وحديثاً ومثل الليل تارة رمزا للحياة وتارة رمزا للشر ومن هنا نشأت الرغبة في دراسة هذه الظاهرة لأننا أمام تجليات عديدة لليل عند كثير من الشعراء وما يشمل عليه من دلالات متنوعة.

وإدار مفهوم الليل عند العلماء وأذهان العرب حول:

-المفهوم الزمني ويبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

-المفهوم المكاني ويتكون من انتشار الظلام ما بين السماء والأرض.

- المفهوم الدلالي ويدور حول معنى الظلمة وما تشيعه من خوف ورهبة واضطراب وشك وحذر وشدة.¹

والشاعر عبد المعطي حجازي خاض تجارب شعرية ونفسية مختلفة واستخدم رموزا وألفاظ كثيرة في قصائده كادت بعضها أن تكون تعبيراً مباشراً لا رمزية فيها (ليلة - ليل - ليالي ليالتي) وما في معناها (مساء - أماسي - أمسيات)

وإذا تمعنا لفظة الليل في دواوين الشاعر نلمس تكرار هذه اللفظة ولكن بدلالات مختلفة، لأن الليل صورة متأققة من الصور الشاعرة في حياة الكثير من الشعراء، فقد يوحى بزمن وهم وحياة وفتور وقلق وخوف وظل وظلام وعدو الخ ونحن نقف أمام هذه اللفظة وما في معناها في دواوين الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي.

1-الليل زمن

الليل يُوحى بزمن حيث تدل كلمة الليل أو النساء على زمن معروف وتتضمن في ثناياها معنى الحرف " في " الدال على الظرفية أي أن شيئاً في الداخل شيء آخر.²

يقول الشاعر عبد المعطي حجازي:

وذا مساء وعمر و دا عنا عامان

طرقت نوادي الأصحاب

لم أعر على صاحب

كلمة زرعتها شفتي ذات مساء

أحببت العالم ذات مساء.²

وقد يكون هذا الزمن متدرجا كما جاء في قصيدة "الأمير المتسول " :

وليلة قليلة رث الشعر الملكي فوق نصله وضاع

وهاهو الآن يذوب قطرة قطرة.³

¹ خالد بن ربيع من محمد ، الشافعي، الليل عند الشعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث، جامعة الملك سعود، الرياض ، 2004 م ، ص5.

² حسن ، عباس ، النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ج4 ، ط3 ، 1974 م ، ص 242 .

² أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1982 ، ص 259 .

³ المصدر نفسه، ص259 .

⁴ المصدر نفسه، ص248.

عندما نلتقي وقت المساء ما أجملها من تحية نتبادلها ولكننا نرى الشاعر يتبادل هذا التحية مع الأموات في قصيدة "الدم والصمت" التي تخيم عليها الأجواء الكئيبة بسبب غرْبته فهي تحية نشاز فيقول حجازي:

في آخر الليل أهبُّ من سريري أرقا
أشمَل جسْمي بالرداء ثم أمضي للخلاء
أسير في خُطى بَطء
كأنما أن المُشيع الوحيد في جناز
دندنتي كئيبة .⁴

فالأموات هنا هُم الغُرباء وَمِنْهُم الشاعر نَفْسُهُ حيث يقول : " ونحن موتى "

2- ليالي المدينة والقرية:

وصل الشاعر أحمد عبد المعطي إلى القاهرة آتيا من الريف مثل عديد من أبناء الريف الذين هاجروا بحثا عن فرص أفضل في العاصمة المصرية ، فمظاهر الحياة مختلفة عن الريف ، ولنتصور الشاعر يتحدث عن الليل في المدينة و يصفه بأنه عيد قصير بسبب ما شاهدته من حفلات تتراقص فيها الأنوار والأنغام بسرعة ويتلاقى فيما الشباب فيقول:

الليل في المدينة الكبيرة

عيد قصير

النور والأنغام والشباب

عيد قصير¹

فالليل هنا فيه السرعة والفرجة العابرة القصيرة التي لا تدوم.

في قصيدة بغداد والموت يتعدى عن وصف ليل بغداد ويذكر أن بغداد هي ذاتها ليل ولكن ليل مظلم بعد الشهيد صلاح الدين حيث كانت تعاني من آلام في برهة من عهود تاريخها فيقول:

بغداد ليل ما به نجم

بغداد فجر لاهب جهم²

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982،ص131.

² المصدر نفسه،ص186.

3- اقتران الليل بكثير من الأحاسيس والانفعالات والوقائع :

أ/ الموت: يقول الشاعر في قصيدة "الموت فجأة" أنه في غربته يترقب أن يأتيه الموت في أي لحظة فهو مُستعد لهذا الحدث لذا يحمل رقم هاتفه واسمه وعنوانه حتى إذا سقط ميتا يتعرف عليه أهله :

فيقول حجازي:

تصوروا أنكم لم تحضروا
مَآذًا يَكُونُ

أظل في ثلاجة الموتى

يهتز سلك الهاتف البارد في الليل

ويبدأ الرنين بلا جواب مرة ومرتين¹.

وقد يكون الموت قتلاً في الليل كما يقول في قصيدته "تروبادور" قال حجازي:

رأيت في بعض طريقي خمسة من الفدائيين

قلت : اتخذوني صاحباً

أمهلوني ليلة

وقبل أن يأتي الصباح رحلوا

وفي المساء قتلوا....²

ب/ الحزن والأحاسيس الرومانتيكية: الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي شاعر رومنسي كما قال زغول سلام = يتخذ الرومانسي من الليل مستودعا لأسراره وهمومه فهو عنده رمز الفناء لهذا العالم الصاخب.³

ففي قصيدته "العام السادس عشر" يصور الشاعر مرحلة نفسية يمر بها المراهق وما يعتره من الحب الرومنسي الذي يعتمد على الخيال ولكنه ممزوج بأحزان الغربية فيقول:

أواجه ليلى القاسي بلا حب

وأحسد من لهم أحباب

وأمضي في فراغ بارد مهجور

غريب في بلاد تأكل الغرباء...⁴

ويكون الليل أحياناً للتفرغ إلى الأصدقاء فففي قصيدة رومانتكية يقول:

فإذا أقبل الليل ، أسعى إلى الأصدقاء

أنثر الخدمات هنا وهناك

عن حياة النهار وعن حبنا...⁵

ج/ الليل والذكرى والأحلام : في الليل عادةً هناك فرصة للاختلاء بالنفس ومُروور موكب الذكريات وقد يحاول الإنسان أن يهرب من عالم الواقع إلى عالم الأحلام عسى أن يجد هناك ما يطيّب خاطره حيث يقول :

يأتي المساء محملاً بروائح الذكرى ونشوتها القريرة

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 356 .

² المصدر نفسه ، ص 598 .

³ زغول سلام . محمد ، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده ، دار منشأة المعارف ، لاتا، الإسكندرية، ص 127

⁴ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 110 .

⁵ المصدر نفسه، ص 338 .

بوجوهنا الأولى

ونحن نغيب في الحلم القديم ...¹

ويقول في قصيدة "نهاية "

وكأننا ما عرفناه ألم العودة في الليل

ببعض الذكريات²

د/ الليل الرعب والخطر : منظر الليل مصدر للخوف والقلق وظل الليل مصدر للهم حيث

يقول الشاعر في قصيدة "البحر و البركان" فيقول :

يأتي المساء فيستحيل البحر وحشا هائجا

يأتي المساء محملاً بمخاوف الليل العدائي البهيم

نترقب الخطر المدهم من وراء الليل...³

وأيضاً كثيراً ما يقترن الليل والرعب ويمر بطيئاً ،

يقول حجازي :

مضت ليلة الرعب مبطئة

ساعة إثر ساعة

وأقبل من أخبروني

بأن الذي سمعوه...إشاعة⁴

هـ/ طول الليل أو بعده : طول الليل له دلالات كثيرة وهذا الطول قد يسر البعض لأن

المسرور يستقصر ليله أو يضايق البعض الآخر حيث أن الغالب أن طول الليل يعبر عن

مقاساة الأحزان والسهر الناتج عنها لذا المغموم يستطيل ليله .

يقول حجازي:

يتحقق الحلم الجميل ليلة يتزودون بها

وينحدرون في الليل الطويل

ينتظرون على مداخل دُورهم ...⁵

كما يعتبر الليل مسافة بعيدة كل البعد عن وطنه، "وهي الأم هنا " فيقول :

بيني وبينك كُـلُّ هذا الليل يا أمي...

و بيني وبينك كل هذه المدن الكبيرة⁶

وفي قصيدة الذم والصمت " يتحدث عن الجنود وتحركاتهم في الليل"

فيقول حجازي :

لتنفخوا أبواقكم

حيث تسيرون الآن في الليل البعيد

ينقذني نشيد كم من الضياع⁷

¹أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان،دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 407 .

²المصدر نفسه ، ص 322 .

³المصدر نفسه ، ص 472 .

⁴ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان،دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 ، ص 533 .

⁵المصدر نفسه، ص 486 .

⁶المصدر نفسه ، ص 446 .

⁷المصدر نفسه ، ص 245 .

و/ الليل والظلام والضياء والعتمة والسكون:

الليل معروف بالظلمة وقد ينتج عنه الضياء خاصة في المدينة يقول في "رسالة إلى مدينة مجهولة" حيث الحديث عن غربئة ووحدته وحزنه وإحساسه بالضياء في المدينة فيقول الشاعر :

أبي أقول يا أبي شكرا

مر يوم دون أن توميء إلي

ما مر يوم دونما ذكرى

تأتي على جناح لحن تائه في الليل

يقول للمحبوب طالت غيبتك¹.

حيث يأتي المساء فيقطع الكلمات ويزين هذا الظلام ضوء القمر وما أجمل وسط القمر وسط الظلمة الدكناء إذ القمر زينة السماء في الليل ويفضي على ضوء القمر اللون الفضي بعبارة أخرى حيث مرت عليه هذه الصورة في الغربية في القرية قديما فيقول:

يعود القمر الشرقي في مايو

ليبني عشه الفضي فوق تلالنا الجرداء

و نحن نعود ما كنا

رجالا من قرى ضاقت على الآباء².

فهنا يصور لنا صورة رائعة لنجوم الليل التي تعطي لمعانا ليل .

¹ أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان، دار العودة ، بيروت ، ط3، 1982 ، ص 227 .

² المصدر نفسه ، ص 323 .

خاتمة

ها هو البحث يصل إلى مرساه الأخير ولكنه لا يدعي الإطاحة بالتشويء بل إنه بحاجة إلى مزيداً من البحث والاكتشاف والتطوير ، فقد حاولنا أن نعطي نظرةً وجيزة حول ظاهرة التشويء وتجلياتها في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، فكان حال بحثنا كحال الإنسان المعاصر الذي هو بحاجة إلى دراساتٍ عدة تخرجه من أزمت عصره خاصة أن ذاته محاصرة بالسلع والمعلوماتية المفرطة التي تولد لديه نوعاً من الإحساس بعدم الجدوى والعبثية و انعدام الهدف .

ولا شك أن أي مشروع أولي إلا وقد اقتصر على مجموعة من الأخطاء التي لا تحقق إلا بالإصلاح والتعديل عن طريق المناقشة العلمية والنقد البناء ، وبالتالي جاء هذا البحث ليُجلي الضبابية التي تكتنف ظاهرة التشويء و تمظهرها في شعر الحداثة مُمثلةً في نماذج من شعر أحمد عبد المعطي حجازي.

وقد خرج البحث من خلال مضمونه بجملةٍ من النتائج يُمكن إجمالها في النقاط الآتية:
- ظاهرة التشويء ظاهرة تطال الواقع والوجود، وقد مرت بمحطات معرفية كثيرة منحنتها وجودها، وهي كثيرة المنابع منها : علم النفس ، والفلسفة، والاقتصاد ، والاجتماع .

- التشويء إفراغ للإنسان من مضامينه الحقيقية الجوهرية، وإلباسه هوية زائفة خالية من المعنى ، وتحميلة مضامين لا تؤهله أن يكون إنساناً إنساناً.

- التشويء حصيلة الأزمت والممارسات والقوى التي يخضع لها الإنسان تحت سيطرة عمله أو سلطته .

- التشويء من الظواهر الاجتماعية التي أفرزتها الرأسمالية والحداثة المادية الغربية الجارفة التي قتلت الإنسان وذَاتِيَّتُهُ وجردته من قيمه الأخلاقية والإنسانية .

- قارب الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في جُلِّ مجموعات الشعرية ظاهرة التشويء مُقارَبَةً شِعْرِيَّةً لا تخلو من عمق فلسفي لم يطغ على روح الشعر، مُعْبِرًا عن صراع تلك الروح الإنسانية مع كُلِّ أشكال المادة ، تعبيراً يرتقي في شوقها وتَوْقَهَا إلى مُعَانَقَةِ المطلق الروحي لتعود بالإنسان إلى طفولته الأولى قبل إلى طفولة اللغة نفسها قبل أن تدنسها كثرة الاستعمال .

- على الإنسان أن لا يكون قابلاً لتجريد حياته من الإيقاع الإنساني بسهولة .

- غياب الجانب الروحي وعزل الدين عن الإنسان يجعل للعالم قيمة مادية فحسب.

هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراسة ظاهرة التشويء لينفتح أفاقاً أمام رؤى مختلفة عسى أن يكون هذا البحث فاتحة لمشاريع لاحقة مفيدة ومشوقة تُضاف إلى صرح العلم الشاهق .

قائمة المصادر والمراجع

- 1- زيزي شوشة، حصاد الشعر: أحمد عبد المعطي حجازي، مصر، لانا، 2012.
- 2- رقية رستم، مظاهر المفارقة في قصيدة لمن نغني، مجلة إضاءات نقدية، السنة 6، العدد 21، 2016.
- 3- ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت 711هـ / 1311م) لسان العرب ط 1 ، دار إصدار بيروت.
- 4- احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط1، مج 1 ، (القاهرة : عالم الكتب 2008) .
- 5-ماركس كارل ، رأس المال ، ترجمة فالح عبد الجبار وآخرين ، مجلد (1) ، ج 2 دار التقدم موسكو.
- 6-المسيري ، عبد الوهاب ، والتريكي ، فتحي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الفكر ، دمشق ، 2003،
- 7- الحيدري ، إبراهيم ، " مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة ، على الشبكة [www, Maaber ,crylissue](http://www.Maaber.crylissue.com) , 08 july .
- 8- لوكاش ، غيورغ ، التاريخ والوعي الطبقي ، ترجمة حنا الشاعر ، دار الأندلس بيروت ، 1979، ص 77 ، ماركس ، رأس المال ، م 1، ج 2 .
- 9- كارل ماركس: رأس المال ، تر، فالح عبد الجبار ، ط1، بيروت ، دار الفارابي 2013.
- 10- عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر 2003.
- 11- المسيري ، عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان .
- 12- محمد خليل ، صبري مفهومي (مفهوما) الميتافيزيقا والإيمان بالغييب، موقع الدكتور صبري محمد خليل على الشبكة.
- 13-سري جلال محمد ، الأمراض النفسية الاجتماعية، ط1 عالم الكتب للنشر والتوزيع، مصر، 2003 .
- 14- فروم ايريك ، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1972 .
- 15- فروم ايريك ، كينونة الإنسان، ترجمة محمد حبيب ، اللاذقية، دار الحوار اللاذقية 2017.
- 16- الحيدري، إبراهيم، مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة. ينظر: بسطاويسي ، رمضان، علم الجمال. عبد لوكاتش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991.
- 17- علواني محمد ، صنمية الاستهلاك وذبول الفرد في المجتمع الحديث (بتصرف).
- 18- الكنجي ، فؤاد ، الرأسمالية وفلسفة التشيؤ ، موقع الحوار المتمدن ، العدد 4997، 2015. على الشبكة [www..ahewar.org](http://www.ahewar.org) :
- 19- إكسل هونيث، كتاب التشيؤ- تر- كمال بومنير، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، مج2، ع4، أكتوبر 2013.
- 20- مجاهد ، عبد المنعم مجاهد ، جدل الجمال والاغتراب ، مكتبة الأنجلو - المصرية ، القاهرة ، 1986 ص 21 ، المسيري ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية ص 285،

- 321,264 حمادة احمد الاغتراب في الأدب العبري المعاصر ، عالم الفكر ، م 24،ع3، يناير/ مارس 1996 .
- 21- See: Taha ,Ayadkazem and Aseel Abdul khaliqs " journal of 'REIFICATION" and itsRepresentation in the Iraqi Theater " university of Babylon for Humanities, Vol .26,no ,7 ,201, p 226,2018.
- 22- أحمد عبد المعطي حجازي ، الديوان،دار العودة ،بيروت ، ط3، 1982 .
- 23- عز الدين ، إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي ، ط3 ، ص،331.
- 24- محمد العبد، المفارقة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، 2006.
- 25- ناصر،شبانة ،المفارقة في الشعر العربي الحديث دمشق ،المؤسسة العربية والنشر للدراسات، 2002.
- 26- فريحة ، بيرير، المفارقة الأسلوبية في مقامات الهمذاني رسالة الماجستير جامعة قاصدي مرباح.
- 27- أبو غالي مختار علي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة ،بيروت ، 1995،
- 28- الجبوري ، يحي، الحنين والغربة في الشعر العربي ،دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص09.
- 29- آرشر و آخرون، المجلة البريطانية، 1998.
- 30- حمودة حنان محمد، زمكانية وبنية الشعر المعاصر، الأردن ، 2006.
- 31- الجازي ، زياد جازي ،الظواهر الأسلوبية في شعر عبد المعطي مجازي، جامعة موته، 2011.
- 32- خالد بن ربيع من محمد ، الشافعي، الليل عند الشعراء الجزيرة العربية في العصر الحديث، جامعة الملك سعود، الرياض ، 2004 م .
- 33- حسن ، عباس ، النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ج4 ، ط3، 1974 م.
- 34- زغلول سلام . محمد ، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده ،دار منشأة المعارف ، لاتا، الإسكندرية.

فهرس الموضو عات

الصفحة	العنوان	الرقم
1	الواجهة	01
3	البسمة	02
4	آية قرآنية	03
6	شكر و عرفان	04
أب-ت	المقدمة	05
11	توطئة	06
12	الفصل الأول : التشيؤ؛ جينيالوجيا المصطلح وأبعاد المفهوم	07
13	التعريف بالشاعر	08
15	مفهوم التشيؤ وجهازه الاصطلاحي	09
18	نشأة التشيؤ في الفكر الغربي والاسلامي	10
29	الفصل الثاني : مظاهر التشيؤ في شعر أحمد عبد المعطي حجازي	11
29	أولا : الاغتراب	12
33	ثانيا : المفارقة	13
37	ثالثا : الحنين	14
37	1- الحنين الطفولي	15
39	2- حنين الابتعاد عن الوطن	16
41	3- الحنين إلى المستقبل الثاني	17
42	رابعا : مظهر رمز الليل في شعر حجازي	18
43	1- الليل زمن	19
44	2- ليالي المدينة والقرية	20
45	3- اقتران الليل بكثير من الأحاسيس والانفعالات والوقائع	21
50	الخاتمة	22
53	قائمة المصادر والمراجع	23
55	فهرس الموضوعات	24

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ